سيحضرون الى فلسطين وقد تملكتهم فكرة انشاء دولة قومية يهودية وبذلك يصبح من المستحيل ان يعيش العرب واليهود في ود وسلام ، كما أن ثروة العرب سوف تضيع ويتحولون الى حالة من العبودية بعجزهم عن مجاراة الصهيونيين . كما أشار السوريون الى أنه اذا كان اهل فلسطين لم يستطيعوا النهوض بالبلاد طوال القرون السابقة (وهو ما كان يردده الصهيونيون) فذلك لان العرب كانوا يرزحون تحت الحكم التركي القاسي، وتسائل السوريون عما اذا كان جزاؤهم — وهم يحاربون في صفوف الحلفاء ضد الترك — ان ينتزع جزء هام من بلادهم بعد ان صار يوم الخلاص من الحكم التركي قريبا (تقرير رقم ٤) .

أما موقف الزعماء السوريين المقيمين في القاهرة(٣) فانهم على الرغم من ارسالهم برقية الى وزير الخارجية البريطانية احتجاجا على اصدار تصريح بالفور ، كما اوفدوا مبعوثين الى ملك الحجاز وابنه فيصل يدعونهما الى الاحتجاج الا ان موقف هؤلاء الزعماء السوريين كانت تحكمه عدة عوامل جعلتهم يتصرفون بحذر ، فقد كان لديهم انطباع — كما يقول بيل — بأنه لا فائدة ترجى من محاولة مقاومة قرار الحكومة البريطانية حيث كانوا يعتقدون انها لا بد قد حصلت على تأييد الحلفاء وبخاصة الولايات المتحدة الامريكية ، كما كانوا يعتقدون انهم — كسوريين — لن يكون لصوتهم الا وزن ضئيل لدى الحكومة البريطانية التي قد تستجيب اكثر لو صدر الاحتجاج عن مسلمي العالم وشريف مكة ، يضاف الى هذا ان هؤلاء الزعماء كانوا يعيشون في مصر في كنف السلطات البريطانية ولذلك فقد كانوا أشبه بالاسرى لا يتحركون الا طبقا لارادة آسرهم ومشيئته ، ولذلك اكتفوا بارسال برقية الاحتجاج ، ولكنهم لم يقدموا على عمل معين بقصد الدعاية في سوريا وفلسطين لتعبئة الشعور لمقاومة المخطط الصهيوني البريطاني .

ويتجلى انصياع هؤلاء الزعماء لمشيئة السلطات البريطانية انهم لم يلبثوا ان اقتنعوا بما سمعوه من الجنرال كلايتون رئيس المكتب العربي ، وهو حديث حفل بمختلف وسائل الترغيب والوعيد ، مرددا ما جاء في الخطاب الذي بعث به سير مارك سايكس من مجلس الحرب الوزاري في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٨ . ويذكر بيل ان كلايتون ابلغ الزعماء السوريين بمضمون خطاب سايكس بل واعطاهم صورة منه ، واضاف ان الحكومة البريطانية تؤكد ان تصريح بالفور لا يعني اقامة دولة يهودية في فلسطين ، ولوح كلايتون للزعماء بأن الصهيونيين على جانب كبير من القوة ، وان اليهود يسيطرون على رأس المال في كل انحاء العالم ، وانهم اذا لم يحصلوا على ما يريدون في فلسطين من الدول المتحالفة فانهم سوف يحصلون عليه من الترك وفي هذه الحالة — كما يقول كلايتون — سوف تصاب القضية العربية بالخسران المبين . وعقب هذا الحوار مع كلايتون صار الزعماء السوريون — كما يقول بيل — يشعرون بشيء من الاطمئنان بعد ما علموا انه ليس في نية الحكومة البريطانية اقامة دولة يهودية في فلسطين وان شعب فلسطين العربي لن يرغم على قبول حكومة يهودية وسيمنع اليهود من الاستحواذ على الاراضي الخصبة بل وسيستفاد من أموال اليهود الضخمة في استغلال موارد الثروة الطبيعية في فلسطين . وقد فهم بيل ان اطمئنان الزعماء السوريين يرجع — الى جانب تصريحات الساسة البريطانيين — الى اعتقاد هؤلاء الزعماء بأن مركز العرب في فلسطين افضل من مركز اليهود بسبب تفوق العرب عدديا وبحكم اقامتهم الطويلة في البلاد ، وبذلك فانه اذا لم تعط فلسطين للصهيونيين في الحال سيكون لدى العرب فرصة للاستعداد لمجابهة الصهيونيين مجابهة الند للند في الصراع الاقتصادي . ويذكر بيل انه

---

٣ — انظر المقال الذي كتبه كاتب هذه الدراسة في مجلة (الطليعة) التي تصدر في القاهرة عن دار الاهرام في عدد نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ بعنوان : تصريح بالفور والتناقض بين موقف الشعب وموقف الزعامة.